

**البعء الزمىى للمىثولوجىا وأثره
فى أءب الخىال العلمى
رواية: السحابه السوداء أنموذجاً**

المءرس الءكءور
مأءء ءمىء فرء
كلىة الفقه - ءامعة الكوفة

البعد الزمني للميثولوجيا وأثره في أدب الخيال العلمي رواية: السحابة السوداء أنموذجاً

المدرس الدكتور
ماجد حميد فرج
كلية الفقه - جامعة الكوفة

المدخل:

الأدب نبض يتغلغل في جسد الحياة ييث فيها لونا من الشعور والتفاعل، ويساهم في خلق رؤية جديدة للوجود تتجاوز البعد المادي والواقعي لعناصره، ولعل الإنسان منذ أقدم العصور قد أدرك هذا الأمر وحاول أن يجسده في علاقاته مع بني جنسه، ومع باقي العناصر المكونة للكون، والأمة التي تفتقر إلى تراث أدبي، أمة ليس لها عمق حضاري ولا جذور تدعم قيامها ووجودها الحضاري عبر الزمن، ويخطأ من يظن أن الحضارة والتكامل الإنساني رهن بالتقدم التكنولوجي والعلمي، هذا وعي وتنظير قديم اكتشفه الإنسان القديم الزارع الأول للحضارة وفي هذا الإطار ليس من اليسير أن ننطلق نحو فهم منطقي وعقلي لظاهرة تتجاوز العقل لا بل أحيانا تطغى على العقل وتجره نحو الحدود الروحية للعالم والوجود، هكذا هو الأدب: خلق غريب يأخذ من كل شيء، ويوظف كل شيء ليعطي بلا حدود ويؤثر فينا من حيث لا نشعر.

عندما بدأ الإنسان القديم يتحسس ملامح العالم في محاولة لاستئناس ظواهره الغريبة وأحداثه المفاجئة بعقل تحكمه الغرائز وتسير به الظواهر بلا قواعد، وكل العلم لم يكن ليتجاوز ملاحظات، هي أثر لتكرار النتائج نفسها لظواهر ملحوظة، وكان الغيب هو المنطق، وكل المستحيلات ممكنة في عالم تحكمه القوى الغيبية، والآلهة المتعددة، وفي رحم هذه المناخات الفكرية ولدت

الخرافة والأسطورة لتكون العلم الوحيد الذي يفسر ما غمض من حوادث وما غاب من وعي حقيقي، واستمرت علاقة الإنسانية بالأساطير والخرافات تسير على وتيرة واحدة تتناوب بين الشك واليقين، فكلما أضاء العلم زاوية من زوايا الخرافات تظهر زاوية أخرى، لأن الإنسان في أنموذج بنائه المعرفي والعقلي يميل نحو المجهول، ويعشق الغوامض والحوادث الخيالية لأنها تقيض جميل للحقائق القاسية التي تحكم الإنسان بحدود لا طاقة له على تجاوزها أو كسر قوانينها الصارمة، ولعل هذا الكلام على بساطته يفسر لنا عشق الإنسان الأزلي للخرافة والأسطورة، وتلك القصص التي توظفهما، وعزوفه النفسي الظاهر أو الباطن عن الأعمال التي تعرض الحقائق كما هي من دون بعد خيالي أو أسطوري.

مع هذا البحث سنتناول قضية مهمة ترمي بأطنابها بين الدراسة الأدبية - التحليلية، وبين البعد الإنساني المتذوق للبنية الأدبية بأشكالها المختلفة، من خلال إلقاء الضوء على جنس أدبي - نثري مهم هو (أدب الخيال العلمي)، وعلاقة هذا الجنس الحديث بمنظومة إنسانية، حضارية، تاريخية، أدبية، هي: (الميثولوجيا)، ويتجه البحث نحو بيان العلاقة الجذرية بين أدب الخيال العلمي وبين الميثولوجيا، حيث وجد الباحث أن يهتم في هذا البحث بعنصر (الزمن) وتشكيلاته في البنيتين مارتني الذكر.

الزمن وتجلياته في النص الأدبي:

شغل مفهوم الزمن عقول المفكرين والفلاسفة، وبسطاء الناس منذ أقدم العصور، فحاولوا تحديد كنهه وأبعاده وتجلياته، وكانت أدواتهم العقلية، رؤى بسيطة، لا تتجاوز ربط الظواهر بمسبباتها والتأجج بعقلها، ومتى عجز العقل هامت الأفكار في فضاء الخرافات والأساطير، وأصبح العجز عن التفسير بوابة نحو اللامعقول الذي بات مفسرا لمظهر معقول، ولهذا قيل قديما بأن الأسطورة

والخرافة هما علم الإنسان البدائي^(١)، علم قواعده المنطقية خيال لا تحده حدود، وتصورات تغوص في أعماق علاقة الإنسان بالقوى الغيبية التي تمسك بزمام الكون أو أطراف منه - بحسب ما يعتقده البدائي -، لكن كل تلك المحاولات في فهم الزمن، شابها القصور والزيغ، لأن الزمن أمر لا يخضع للقياس المادي، ولا يدرك بالحواس، وليس لنا إلا أن نقطف منه مظاهره على الماديات من حولنا. وحسبنا أن نقول إن الزمن هو الحياة، وهو الوجود، وهو الروح المحركة لنشاطات الكائنات الحية، والزمن مرتبط بالطاقة والحركة من حولنا، وهو النظام الذي يحكم الوجود المخلوق، يتجسد في ثلاث كتل كبيرة: هي الماضي والحاضر والمستقبل^(٢).

إن الخوض في مفهوم الزمن بشكل عميق يقود حتما إلى أبواب الفلسفة العربية والعالمية، حيث تختلط الحقائق بظلالها ولا نجد إلا بحوثا موسعة ليست من صلب موضوعه هذا البحث الذي يحاول أن يركز على رؤية معينة تخدم القارئ وتجمع له أطراف البحث بشكل يخدم الأدبية والفنية التي نسعى إليها في هذا المقام. نعود فنقول إن تعريف الزمن موضوع غاية في الاتساع والتباين وهو في ذلك يتبع الرؤى الفلسفية والعلمية والدينية التي تنظر لبنية المفهوم وتجده نحو الكيان المعرفي الذي تنتمي إليه، ولهذا وجدنا أن نقتصر على تعريف واحد للزمن وجدنا فيه من البراعة والدقة ما يثير العجب، ناظمه أديب لامع، سمي بفيلسوف الشعراء، وهو في تعريفه هذا نظر لارتباط الزمان بالمكان، باعتبار التلازم الطبيعي والفلسفي في وجودهما، أنه: أبو العلاء المعري^(٣)، علم من أعلام الأدب العربي في العصر العباسي، يقول: ((وقد حددته حدا ما أجدره أن يكون قد سبق إليه، إلا أنني لم أسمع، وهو أن يقال: الزمان شيء أقل جزء منه يشتمل على جميع المدركات وهو في ذلك ضد المكان، لأن أقل جزء منه لا يمكن أن يشتمل على شيء كما تشتمل عليه الظروف))^(٤)،

وهذا التحديد للزمان دقيق و عام لأنه يعطيه السيطرة والإحاطة على العناصر المكونة للوجود كافة.

للزمن علاقة بالأدب منذ أقدم العصور، فقد ((عني الشعراء العرب قبل الإسلام بالزمن عناية كبيرة، وآية ذلك كثرة الشعر الذي قيل فيه والدهشة واللوعة اللتان تلونان تلك الكثرة، وكان أولئك الشعراء مبهورين بجريان الزمن، مأخوذين بسلطانه، مسحورين بالعلائق التي بينه وبين حركات الأجرام السماوية، ناسبين إليه أفعال الحياة والموت والخير والشر))^(٥) ذلك أن الشاعر الجاهلي كان ينظر للزمن من خلال تجلياته الكونية، ومنها حركات الأجرام السماوية، وينظر إلى علاقة هذه الأجرام بنشاطات الإنسان في مقامه وسفره وترحاله، ولعل هذه الأهمية تتجسد بمؤلفات بعض علماء العرب، فهذا كتاب (الأنواء في مواسم العرب) لابن قتيبة^(٦) شاهد على هذا الاهتمام، عند العلماء العرب، ومبين لأثر الأجرام السماوية في قياس الزمن وارتباطه بالحوادث والنشاطات المختلفة للإنسان العربي.

لقد تجلّى الزمن أيضا في النصوص الأدبية، تجليات نفسية والوجدانية، تختلف عن المفهوم الطبيعي له، إذ تختلط مكوناته بالمشاعر الإنسانية وتتلاشى الفواصل بين الماضي والحاضر ويطول أو يقصر تبعا للشعور والموقف الذي يحصل فيه، وقد يتحول الزمن النفسي أو الوجداني إلى ما يشبه زمن عالم الأحلام، فهناك تحول دائم في عناصر الزمن أو هنالك استقرار يكاد في بعض الأعمال الأدبية يقود إلى فكرة الانعدام أو الجمود، ومن الأعمال الأدبية التي تجسدت فيها هذه الظاهرة، (رسالة الملائكة) لأبي العلاء المعري^(٧) ت: ٤٤٩ ورسالة (التوابع والزوابع) لأبن شهيد الأندلسي^(٨) ت: ٤٢٦هـ، ومن الأعمال العالمية يتجلّى ذلك في (الفردوس المفقود) للشاعر الانكليزي جون ملتون^(٩)، وغير ذلك مما لا مجال لذكره في هذا المقام.

الأسطورة والميثولوجيا:

الكلمة الهرم الأكبر للحضارة الإنسانية، وهي الروح التي صمدت عبر آلاف السنين لتحمل بذور التقدم والتطور وتحكي قصة الحضارة الإنسانية، ولهذا ليس غريبا أن تكون الأسطورة عند الإغريق (Myth) أو (Mythos) بمعنى الكلمة المنطوقة في الطقوس الدينية أو السحرية^(١٠) وصولا إلى معنى الحكاية، ولكن ليس الحكاية التي تسترجع الواقع وتعيد توثيقه، وإنما الحكاية التي تنطلق خلف الواقع وتفسر كثيرا من المظاهر غير المفهومة أو تعلق ظواهر أخرى ليس لها تعليل في المنطق المفهوم عند حضارة معينة في زمن معين^(١١)، ويبدو أن الأسطورة نتاج علمي مشترك بين الحضارات كافة، المتقدمة منها، والبدائية، وهذا الأمر أكده كبار علماء الفلسفة والباحثين في حقول الأنثروبولوجيا، ومنهم أرنست كاسير^(١٢)، لا بل اتسعت الأقوال فيها بين التجريب والفلسفة والميتافيزيقيا وغيرها من التوجهات الفكرية، ووصل الأمر إلى القول إن الأسطورة وجه من وجوه الحقيقة كما يريد العقل الإنساني^(١٣). ولعل تركيزي على هذه المقولة مهم في هذا الجانب من البحث، لأنني أريد أن أصل إلى رؤية تقول: أن الأسطورة نظام ديناميكي حي لا يتوقف على أبواب أو حدود زمن معين أو حضارة معينة، كما أن الأساطير تنمو وتنضج وتحيا وتموت في عمق الحضارة، بمعنى: أنها تبقى متصلة مع الإنسان، وهذا الرأي أو الاستنتاج هو ما سنبنى عليه مقولتنا المهمة التي تقول بأن أدب الخيال العلمي نتاج أسطوري في جذوره الفلسفية وفي أركانه الموضوعية، ودعامتنا القوية في هذا الرأي أن هنالك علاقة وثيقة بين عالم الأسطورة وبين السحر والأديان القديمة، وهذا من نتاج بحوث ودراسات (جيمس فريزر)^(١٤).

اخترنا الحديث عن الأسطورة، كممثل شرعي للميثولوجيا أو الخرافة،

وهذا الاختيار له من المبررات ما يكفي ويقنع إذا عرضناها في موضعها، وهذا ما سنفعله بعد الحديث عن مفهوم الأسطورة وبنيتها وأنواعها.

يقوم كيان الأسطورة على بنيتين، الأولى: الجذر التأريخي الحقيقي والمتكامل لها. الثانية: البنى الحكائية والرمزية، التي تمثل الصدى أو الانعكاسات للجذر القديم، وهذه البنية مهمة لأنها هي التي توظف. ومن جانب آخر لا يمكن فهم البنى الانعكاسية من دون وعي الجذر الأسطوري لها، وهنا نعود إلى قضية أثرناها في ما مر معنا من كلام، وهي عبارة عن سؤال منطقي، يقول: هل يوجد فرق بين الخرافة والميثولوجيا والأسطورة؟ والجواب مهم لا بد من تأمله والوقوف عنده بصبر وتأن.

الخرافة: حكاية لا يقبلها المنطق العقلي تنشأ وتمتد في الثقافة الاجتماعية ذات البعد المحدد بإطار زمني ومكاني معين، والخرافة نتاج عقلي بسيط لا يهدف إلى تأويل أو تحليل موقف غامض بقدر التعلق العقلي الإنساني بكل مظاهر الغموض وما ينسج من خيوطها .

أما الأسطورة: فهي بنية حكاية مكثفة الزمان والمكان والشخص، تتسع لتعبر عن منظور واسع لمجتمع معين، والأسطورة تهتم بالتأويل والتحليل لظواهر خارج الوعي الحضاري للإنسان، وللأسطورة قدرة على النمو والسفر عبر الزمن.

الميثولوجيا: هي التنظير العلمي الذي يقدم الخرافة والأسطورة من وجهة نظر تكاملية يمكن إخضاعها للدراسة والقياس والمقارنة، ومادة الميثولوجيا أساطير العالم وخرافاته، وكل ذلك تراث له أصول نظرية مشتركة.

واستنادا على ما تقدم نقول إن للأسطورة أنواع كثيرة بحسب تصنيفها وزمانها ومواطن نشأتها، ولا حاجة للتوسع في هذا المقال، فقد أفاض فيه

الدارسون وابلوا بلاء حسنا^(١٥).

ولا يفوتنا أن نذكر إن القرآن الكريم قد تعرض لذكر الأسطورة في آيات مباركة نذكرها لأنها أشارت إلى دلالة مهمة:

١- قال تعالى: ﴿وَمَنْهُمْ مَّنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ يَرَوْا كُتُبًا آيَةً لَا يُؤْمِنُوا بِهَا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾^(١٦).

٢- قال تعالى: ﴿وَإِذَا مَثَلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ كُنَّا نَعْلَمُ مَعْلَ هَذَا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾^(١٧).

٣- قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ مَاذَا أُنزِلَ رُبُّكُمْ قَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾^(١٨).

٤- قال تعالى: ﴿وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ أَكْتَبَهَا فِيهِ نَمَلٌ عَلَيْهِ بُكْرَةٌ وَأَصِيلًا﴾^(١٩).

٥- قال تعالى: ﴿وَالَّذِي قَالَ لَوْلَا دَيْتِيهِ أَف لَكُمَا أَتْعِدَانِي أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَّتِ الْقُرُونُ مِنْ قَبْلِي وَهُمَا يَسْتَعْجِلَانِ اللَّهَ وَيَلْتَمِسُنَّ مِنْهُ الْآيَاتِ وَيَقُولُونَ سَوَاءٌ عَلَيْنَا إِنْ جَاءُنَا بِالْآيَاتِ مِنْ قَبْلٍ أَوْ لَا آيَاتٍ تَنْزِيلًا﴾^(٢٠).

هذه بعض من آيات القرآن الكريم التي وردت فيها لفظة (أساطير) ونورد في هذا المقام بعض الملاحظات التي تتعلق ببحثنا والأطر النظرية الساندة له:

١- إن اللفظة وردت بصيغة الجمع في القرآن الكريم، ولم ترد مفردة.

٢- تشير الدلالة العامة للمفردة في سياقها العام داخل الآيات الشريفة، إلى معنى: أحاديث غير موثقة الصحة، وفيها خرق للحقائق المتعارف عليها.

٣- اقترنت اللفظة بمفردة (الأولين) في كل المواضع الشريفة التي وردت فيها، وهذا الاقتران يشير إلى دلالة (الماضي) أي إن الأسطورة تكتسب

كيانها وصبغتها بفعل مؤثر الزمن الماضي، وهذا أمر مهم سنتحدث عنه لاحقاً في موضعه.

٤- في الآية (٥) من سورة الفرقان وردت مفردة (اكتتبها)، أي أن الرسول الكريم محمد - صلى الله عليه وآله وسلم - اتهم من قبل المشركين بكتابة هذه الأحاديث.

٥- تنزاح المفردة نحو كل أمر مكذوب في أصله وفي وجوده، بشكل عام. مما تقدم نستنتج العلاقة الوثيقة بين التأريخ والأسطورة، فلا وجود لأسطورة ليس لها جذر تاريخي، فمثلاً لو نظرنا إلى ملحمة جلجامش - وهي عمل أدبي ضارب في التأريخ القديم - لوجدنا اختلاطاً للمادة التاريخية بالمادة الأسطورية^(٢١)، فالعمل الأدبي يأخذ الأحداث التاريخية، ويصهرها في البعد الإنساني والخيالي، ليقدم نصاً جديداً له وجهان: وجه حقيقي، ووجه أسطوري يعالج أبعاداً تقع في مجال التأمّلات الإنسانية للوجود والواقع.

أدب الخيال العلمي بين شرعية الوجود وحقيقة الإبداع:

أدب الخيال العلمي جنس نثري قصصي شق طريقة في ظلال التقدم التكنولوجي والثورة الحضارية في القرنين التاسع عشر والعشرين، وولادة هذا الجنس الأدبي ولادة واقعية لم تكثر بالتنبؤات المسبقة، بمعنى إن أعمال هذا الجنس كانت وما تزال تسير على بينة من أمرها، أثبتت وجودها عملياً بين طبقات من القراء المثقفين من المتذوقين الذين استهوتهم الأجواء الغرائبية والخيالية التي يقدمها هذا الأدب، ولهذا لا نبالغ إذا قلنا أن أدب الخيال العلمي أدب حي ومنتج وله مساحة واسعة عالمياً لا يمكن إنكارها جدلاً.

قديماً كانت القصص التي تتحدث عن بساط الريح أو عن المصباح السحري أو الخاتم السحري، والسحرة، وغير ذلك تستهوي الناس وتجذبهم

إلى عوالم تموج بالخيال، فهذه قصص ألف ليلة وليلة توظف من الرموز الأسطورية والحكايات الخيالية، ما لا يحصى عدداً، أما الآن فالناس يستمتعون وهم يقرؤون قصصاً فيها المركبات الفضائية، والتنقل بين عوالم غريبة ولقاء كائنات أخرى، أو السفر بين الماضي والحاضر والمستقبل، أو متابعة أعمال الرجال الخارقين من أمثال (super man) الرجل الخارق وغيره من الشخصيات الخارقة، ولا نستغرب إن هذه القصص قد وجدت طريقها سريعاً نحو السينما العالمية، واحتكرت عقول فئات مختلفة من البشر، وتركت تأثيرها على البنية المعرفية لأبنائنا.

في عام ١٨٦٣ ظهر أول عمل أدبي يبشر بأدب الخيال العلمي، كان بعنوان (خمسة أسابيع في منطاد) للكاتب جول فيرن (Jules Verne)، وهذا العمل بني على أساس المغامرات الخيالية^(٢٢). ومع (هـ.ج. ويلز) أصبحت أعمال أدب الخيال العلمي واضحة المعالم، وبخاصة في قصة (آلة الزمن)^(٢٣)، وأصبح القارئ المثقف يعي إن أدب الخيال العلمي يعتمد التوسع في توظيف النظريات العلمية وقراءة مستقبل العلم وكيفية تعامل الإنسان مع التكنولوجيا الحديثة.

إن أعمال أدباء الخيال العلمي تركز على جملة من الدلالات، يتم اتخاذها كبنو تلتف حولها أفكار معظم القصص الخيالية، وهذا وصف لأهم تلك البنو الموضوعية:

١- السفر عبر البعد المكاني إلى عوالم أخرى لم يصل إليها الإنسان سابقاً، كالسفر إلى الكواكب الأخرى والسفر إلى باطن الأرض، والعبور بين الأبعاد الكونية المتوازية.

٢- السفر بين أقسام الكيان الزمني، كالسفر إلى الماضي أو إلى المستقبل ولقاء البشر في تلك الأزمان، وملاحظة التغيير الذي طال الجنس البشري.

٣- الصراع مع كائنات غريبة قادمة للسيطرة على الأرض من عوالم أخرى، أو الصراع مع كائنات تطورت وباتت تمتلك إدراكا عاقلا يمكنها من التغلب على الجنس البشري، الذي يصور وكأنه قد تخلف أخلاقيا^(٢٤).

٤- الصراع مع الآلات التي اكتسبت وعيا وقدرة على التفكير والاستقلال في صناعة القرارات، بسبب أخطاء (برمجية) ارتكبتها الإنسان، أو بسبب وعي أو مؤثر ألقى عليها من خارج الأرض، ولعل مثل هذه الأعمال قد اكتسبت رصيذا كبيرا في السيطرة على شاشات العرض السينمائي عالميا^(٢٥).

٥- انتشار الأوبئة والأمراض الفتاكة الناتجة عن بحوث بشرية، وما يرافق هذه الأمراض من ظهور أجناس من الكائنات الفتاكة التي تعيش في الأرض دماراً.

٦- عودة الحياة لأجناس من الكائنات المنقرضة كالديناصورات وغيرها، وما تمثله هذه العودة من تغير في معادلة التوازن الحياتي على الأرض.

٧- الكوارث الطبيعية والكونية الكبرى، كاصطدام النيازك الكبيرة بالأرض أو تغير نشاط الشمس، أو الفيضانات والحرائق الكبرى، أو عودة العصور الجليدية، ودور العلم والتكنولوجيا في مواجهة كل ذلك.

وتتفرع عن هذه الموضوعات والمحاور، موضوعات أخرى، تفنن الكتاب في عرضها، وتقديمها للقراء أو للأعمال السينمائية.

إن تحليل المحاور التي مر ذكرها، يقودنا إلى وضع بعض النقاط الأساسية في عملية فهم النص الروائي العلمي:

١- إن رواية الخيال العلمي ليست خيالا محضا، فمادتها الرئيسة هي الحقائق التي تمدنا بها العلوم الطبيعية، ويقوم الأديب بعرضها وتحويرها في قالب روائي مبسط أو معقد، ثم ينطلق منها مستنتجا افتراضات شتى ليس لها على الأرجح قدرا من الصحة الآتية ولا تتبع منهجا علميا له تطبيقات واقعة فعلا، ولكنها في النهاية مبنية على الحقيقة العلمية بشكلها القابل للتأويل^(٢٦).

٢- إن هذه الرواية بشكلها العام تتبع تصنيفا كليا تشابه فيه باقي أنماط السرد الروائي، من حيث النسق المستقر الذي تبدأ منه وصولا إلى ظهور المشكلة ومحاولة حلها، ثم توزيع الشخصيات بين أشرار وأبطال، وصولا إلى تعقد المشكلة، ثم انحلالها، وهذا النسق العام، يقع تحت ما يسمى (التحليل الوظيفي للقصة)، وهو من منجزات أفكار (فلاديمير بروب) الذي ينتمي إلى مدرسة الشكليين الروس^(٢٧).

٣- تقوم الرواية العلمية الخيالية على منظور روائي^(٢٨) منظم تنظيما دقيقا يتناغم مع القواعد العلمية النظرية وبين توجهات الشخصيات، التي مهما اتصفت بالغرابة ومخالفة الواقع الإنساني، فهي في حقيقتها تمثل أقنعة للنوازع والمشاعر الإنسانية.

٤- تحافظ رواية الخيال العلمي على البنية الزمانية والمكانية، على إن هاتين البنيتين، تقدمان بشكل متقن يعتمد درجة عالية من التشويق، ومحاولة إبعاد المتلقي عن كل ما هو مألوف وجره إلى كل بدعة مكانية بما فيها من عناصر مبتكرة، أما الزمان فيمثل شكلا خاصا من التكوين سنفرد له حيزا من هذا البحث بوصفه المحور المركزي الذي تهتم به هذه الدراسة، وتنفرد الشخصيات بعرض روائي خاص، فلا بد من جعل الشخصية مخالفة لكل شخصية يمكن توقعها في العالم الحقيقي، بمعنى أن

تكون الشخصية مبتكرة كلياً، مع محاولة الكاتب على أن يحافظ على درجة من التناغم بين الشخصية وبين محيطها الوجودي.

الزمن الميثولوجي وزمن الخيال العلمي:

الحديث عن الزمن وتشكيلاته وفاعليته في النص الروائي حديث واسع الأبعاد، تأخذ أشرعه رياح التنظير قديمها وحديثها^(٢٩)، ولكن جملة من التساؤلات تطفو سريعاً على سطح الوعي الذهني، أولها: ما الزمن الميثولوجي؟ وما مدى التشابه بينه وبين الزمن في رواية الخيال العلمي؟ وهل هنالك استمرار زمني يبدأ من الميثولوجيا، ويستمر في بنية أدب الخيال العلمي؟ أسئلة متتالية تطرح في ثنايا هذا البحث، سنحاول الإجابة عنها في الأسطر القادمة.

الزمن الميثولوجي: هو بنية زمنية تنقسم على شطرين، الأول: زمن ولادة الأسطورة أو الخرافة بالنسبة إلى خط الزمن التاريخي، وهو زمن غامض الملامح، يصعب تحديده، ويكتفي الباحثون بالنظر إليه من وراء ستار ضبابي كثيف. الثاني: زمن رحلة الأسطورة، ويمكن القول عنه - أيضاً - زمن نموها وتكاملها، فلا تعد أية بنية (حكائية) أو رمزية أسطورة ما لم تعبر مراحل تاريخية، فالزمن هنا يضيف إليها جذوراً (غرائبية) ويعمق وجودها ويركز تأثيرها في ذهن الإنسان، ودور الزمن في هذا الاتجاه أنه يمارس أيضاً عملية قلب للحوادث والمرويات التاريخية، فيصنع من الواقع أساطير جديدة، عندما تغيب الأدلة على الحدث وتنقسم سلسلة الرواة أو يدخل فيها ضعف أو زيغ، وهذا ما حصل مع قوم عاد وثمود وقوم لوط وغيرهم، من الذين أهلكوا عن بكرة أبيهم والذين ذكروا في القرآن الكريم^(٣٠) وحكم عليهم بالفناء المادي والانقطاع الحضاري والتاريخي، قال تعالى: ﴿أَلَمْ أَهْلِكْ عَادًا الْأُولَىٰ وَثَمُودَ فَمَا أَبْقَىٰ﴾^(٣١)،

وقال تعالى: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِّن قَرْنٍ هَلْ يُحِسُّ مِنْهُمْ مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْرًا﴾^(٣٢)، فغياب أخبار هذه الأقوام وتفصيل حياتهم، وامتداد التأريخ بيننا وبينهم، لف وجودهم بضباب الخرافات والأساطير، التي تناقلتها الناس عبر الأجيال. ولو عدنا إلى أدب الخيال العلمي سنجد تشابها في بنية الزمن فيه واختلافا في اتجاهاته، فالزمن الميثولوجي يسير في اتجاه واحد، من الماضي إلى الحاضر، أما زمن الخيال العلمي فله اتجاهات متعاكسة، يمكن أن تبدأ الأحداث فيه من الماضي باتجاه الحاضر عبورا نحو المستقبل، ويمكن أن يتجه الزمن من الحاضر نحو الماضي، أو أن يبدأ من المستقبل لينتهي في الحاضر.

ولو نظرنا إلى خصائص الزمن الميثولوجي، لوجدناه يميل نحو التكثيف الشديد ويعتمد على الرمزية في وحداته الزمنية، أي أن البنية الزمنية تكمن متحجرة في نصها، وتبث فيها الحياة، في عملية التلقي، وكأن المثلقي يصب عليها الماء لينبت فيها عروق الحياة، فتولد كاملة في الوعي الجديد الذي يتولى عملية تلقيها وتفكيك دلالاتها، أما في قصص الخيال العلمي، فلا تمارس ظاهرة التكثيف كسمة عامة، بل يعد الزمن بعدا ظاهرا حيا على الدوام في سير عملية القص. ومن السمات الفارقة للزمن بين التشكيلين: ظهور الزمن خاضعا للحدث الميثولوجي، بينما يصبح الزمن الفرشاة التي ترسم ملامح الحدث والمكان والشخصيات، وتهيمن عليها جميعا في قصص الخيال العلمي. سمة أخرى تتجسد بالانغلاق الزمني الميثولوجي، فلا استرجاع زمني في خط القص، ولا وجود للوقفة الزمنية الطويلة، ويمارس الزمن الدورة المغلقة المحايدة عما حولها، ولذلك تظهر الأسطورة مكتنزة بالخيال داخل العمل الأدبي، وتسحب القارئ نحوها بقوة، وكأنها ثقب فضائي أسود، وفي المقابل هنالك استرجاع زمني، وتوقف للزمن في قصص الخيال العلمي، وهذا يسمح بطرح التساؤلات وتأمل الواقع والقلق من المستقبل^(٣٣).

أما بالنسبة للاستمرار الزمني بين الميثولوجيا وبين أدب الخيال العلمي، فهو أمر لا شك فيه، إذ إن القارئ لما مر من كلام يستنتج إن الزمن الميثولوجي بذرة أنبتت زمن قصص الخيال العلمي، فالأبطال الخارقين يوظفون الزمن غالباً في عملية التنقل بين العوالم وطي الزمن بالطرق العلمية للسفر بين المجرات، كما إن بعض القصص التي توظف فكرة عودة الكائنات المنقرضة، تمارس استيراداً كاملاً للزمن الأسطوري أو الميثولوجي، وتعمل على دمج العالم القديم بالعالم الحديث وصولاً إلى مقارنة خفية بين العالمين. ومن جانب آخر هنالك فكرة نلمحها في الزمن الميثولوجي، تقوم على أساس عدم ربط التقدم الحضاري بالزمن، إذ يبقى استشعار القصص الخرافية على حاله عبر الأجيال - نسيباً - وهذه الفكرة وظيفت بدلالاتها هذه، إذ ترى بعض قصص الخيال العلمي أن الإنسان قد يعود إلى البدائية في المستقبل، بسبب الكوارث التي تطمس الحضارة، أو بسبب غزو الكائنات الغريبة التي تعيد الإنسان إلى ما وراء عصر النهضة.

نعود إلى النظرة التقليدية التي ترى أن في الزمن بعدا يستشعر بالإحساس به والتفاعل معه، فنقول: أن من المشتركات المهمة التي ينبغي النظر إليها، إن الإنسان البدائي والإنسان الحديث، يشتركان في فكرة القلق من الزمن، الذي يتمثل عندهما بعربة السفر إلى النهاية، وقد تجسد هذا القلق في التراث الميثولوجي القديم بشكل واضح وبخاصة في أساطير العراق القديم وبخاصة في رحلة البحث عن الخلود في ملحمة جلجامش وفي أسطورة الطوفان ورحلة (إننا) إلى العالم السفلي^(٣٤)، وتجسد ذلك لاحقاً في خوف الشعراء من الزمن ورهبتهم من التقدم في العمر^(٣٥). أما في تراث قصص الخيال العلمي فتجسد في مئات القصص التي تسعى إلى إطالة عمر الإنسان أو تجديد أعضائه، أو إرقاده لمئات السنين طمعاً في عصر جديد^(٣٦)، أو في تلك القصص التي تهتم

بفكرة استبدال الأجساد، وليس بالغريب أن نقول أن بعض هذه الأفكار هي من إرهابات ما يمكن أن نطلق عليه التراث العلمي القديم ممثلاً بعلوم التنجيم والسحر والكهانة وغيرها^(٣٧).

السحابة السوداء رواية من الخيال العلمي(٣٨):

رواية السحابة السوداء من روايات الخيال العلمي التي يجب أن لا تعامل على إنها نسجت بخيال خالص، فهذه الرواية محاولة متوازنة لتقريب أدب الخيال العلمي، من الواقع الإنساني، فهي تعزف على أوتار البنية المعرفية والفكرية الإنسانية، والصراع الخفي بين الفكر العلمي، والفكر السياسي، وهو صراع نشب منذ فجر التاريخ السياسي الإنساني، كما إن هذه الرواية تقدم صورة للإنسان المفكر، صاحب الذكاء المنتج، وهو محور أحداث هذه الرواية. زمن بداية أحداث الرواية هو عام ١٩٨٤، والمكان، مرصد (مونت بالمار) الفلكي في مدينة لوس أنجلوس الأمريكية. وتقوم الرواية على الأفكار الآتية: تبدأ الأحداث من نقطة تبدو الأمور فيها مستقرة، وكأن الأحداث تتبع تناغماً مألوفاً هو تناغم العمل الثابت ضمن جدول معين في هذا المرصد الفلكي، وتعاني بعض الشخصيات من ملل سببه سياق العمل اليومي، ويذهب نظام القرص في سياق آلية (الراوي داخل القصة)^(٣٩)، فيعرض الراوي جوانب من حياة بعض الشخصيات العلمية، واجتهاد بعضها في سبيل العلم والاكتشافات الفلكية والفيزيائية، وفي هذا الإطار من المنظور الروائي، نستطيع القول أن البنية الوظيفية تميل نحو الاستقرار استناداً إلى توصيف فلاديمير بروب^(٤٠)، أما من الجانب الخيالي أو (الغرائبي) فليس هنالك ما يؤشر انحرافاً أو انزياحاً عن الخط الواقعي في حياة وأعمال الشخصيات، فكل المعطيات العلمية توضع في إطارها الموازي للزمن الحقيقي في تلك الحقبة.

يبدأ الاكتشاف الغريب الذي يغير اتجاه وسرعة الأحداث على يد شاب اسمه (جنسن) يعمل في إطار البحث العلمي^(٤١)، إذ يكتشف سحابة سوداء في أقاصي الكون تتجه مباشرة نحو المجموعة الشمسية، ونحو الأرض بشكل أدق، ونذكر أن الكاتب لم يقدم لهذا الحدث بأي تصورات تحرق المؤلف أو تتجاوز الوقائع العلمية المتعارف عليها في عصر كتابة الرواية. يشغل أمر هذه السحابة الغريبة جميع الأوساط العلمية التي تدير المراصد الفلكية في المنطقة، وسرعان ما أثبتت الحسابات الرياضية أن موعد وصول السحابة المجهولة سيكون في آب ١٩٨٥، وفي هذه النقطة يقدم المؤلف أول انزياح خيالي - علمي من خلال افتراض وصول السحابة السوداء إلى المجموعة الشمسية بشكل سريع، وهذه أول إشارة حاول المؤلف من خلالها سحب القارئ نحو البعد الخيالي للقصة، فضلا عن تقديم هذا الزائر الغريب بصورة غير معتادة ومليئة بعنصر التفرغيب، وما ذكرناه يعد أول تلاعب في الزمن الطبيعي وتحويله إلى زمن خيالي ينعكس على بلورة شخصية الزائر الغريب.

ومن جانب آخر لقد صور المؤلف جميع العلماء والمختصين في حقول البحث العلمي، بمظهر العقلاء والحكماء غير المتسرعين في اتخاذ القرارات إلا بعد تمحيصها وتبادل الرأي فيما بينهم، حتى إن المؤلف قدم الخلفيات العلمية على لسان شخصيات قصته لأبرز التنظيرات العلمية المتعارف عليها في علم الفيزياء الفلكية في عصره^(٤٢)، ومن أجل توسيع دائرتي الزمان والمكان، وجعل الخيال الوتر الذي يعزف بنبرة (غرائبية)، عمد المؤلف إلى تفرغيب المشكلة، وتوسيع دائرة المكان وعدد الشخصيات التي سيكون لها حضور فاعل في البنية القصصية لاحقا. ولا غرابة أن نقول أن المؤلف حاول أن يعزف على وتر التوازن بين الواقع العلمي والحدث الفلكي، وهو يعتمد عرض الأحداث بطريقة بطيئة، وكأنه يريد أن يصنع مزاجا بين المنطق العلمي

والمنطق الإنساني.

نظم الكاتب مساراً زمنياً طبيعياً لعملية القص، يكاد يتخذ من اليوم وحدة زمنية لتواتر الأحداث، منذ ظهور مشكلة السحابة السوداء وتقدير زمن وصولها قريباً من الأرض البالغ ستة عشر شهراً، وهذا التحديد الزمني يمنح الكاتب فرصة توفير أقصى مساحة للشخصيات للممارسة أدوارها العلمية، وإيجاد روابط من العلاقات العلمية تجمع الشخصيات التي ستتولى عملية إدارة الأزمة في القصة.

وفي هذا المقام سؤال قد يطرح نفسه: إذا كانت كل الأحداث تتبع سياقاً طبيعياً لا ينزاح نحو الخيال بشكل واضح، فما المقومات التي تشكل ملامح يمكن الركون إليها في سير الأحداث لإسناد هذه الرواية إلى جنس أدب الخيال العلمي؟ والجواب على هذا التساؤل يكمن في عدة نقاط، أولها: فكرة تحرك سحابة مجهولة من بقعة كونية نحو الأرض تبدو غير مألوفة علمياً، فالمشهور بين الفلكيين حركة الكواكب والنيازك الكبيرة وحتى الكويكبات، وتهديدها بالاصطدام بالأرض، وهذا أمر مشهور في الأخبار العلمية العالمية كل مدة من الزمن. ثانياً: إن مسار القص يتجه تدريجياً نحو زيادة الأبعاد الخيالية في النص القصصي، لأننا ذكرنا أن الكاتب أراد للقصة أن توظف الخيال العلمي توظيفاً إنسانياً، فزاد مساحة الحوار بين الشخصيات، وجعل منه حواراً يوظف اللغة العلمية التي تعكس صبغة الشخصيات التي تساهم في إدارة مقود الحدث. ثالثاً: طبيعة تكوين السحابة، إذ يبدو للقارئ، إن المؤلف يتدرج في عملية كشف ملامح هذا الزائر الغريب، بشكل يتناغم مع سير جهود العلماء في هذا الجانب.

من صفات الزمن في النص أنه يخضع لخط سير واحد يتمثل بمحاولة البقاء ضمن نقطة الحاضر والتحرك بطيئاً نحو المستقبل، وقد مر معنا سابقاً أن هذه

التقنية الزمنية مستعارة من زمن الميثولوجيا والأساطير، وشيئا فشيئا تصبح السحابة السوداء أمرا علميا موثقا لا جدال في وجوده، وتهديده للحياة على سطح الأرض ويتمثل بحجب هذه السحابة لأشعة الشمس لمدة شهر كامل عن الأرض، وهذا سيعيد نظرية العصر الجليدي بأشع صورها، مهددا الحياة على الأرض بالفناء شبه التام^(٤٣)، وفي هذا الجدل يظهر بغض واضح يكنه العلماء للسياسيين، يظهرهم بمظهر الساذجين الذين لا يهتمون بشيء سوى المصالح، فهذا (كنكزلي) أحد أبرز العلماء الذين نظروا لوجود السحابة يرفض إشراك السياسيين في البحوث العلمية فيقول محاورا أحد زملائه: ((أسف..دكتور هيرك.. إنني لا اتفق معكم في استشارة السياسيين لأنني لا أجد ما يبرر وقوف العلماء أمام السياسيين، وقفة الكلاب التي تهز أذناها أمام أسيادها.. أنتم تريدون منا الآن، الوقوف أمام السادة السياسيين، بذلة وخنوع راجين التعطف وقبول تسلم تقريرنا، فإن نال رضاهم ربتوا على ظهورنا وقدموا لنا قطعاً من الشكولاته.. أقولها بصراحة: لا يمكنني تصور كيف سيتحمل هؤلاء السياسيون مسؤولية الظروف الصعبة التي ستمر بها معمورتنا، وهم فاشلون حتى في تسيير أمور مجتمعاتهم في الظروف الاعتيادية)).^(٤٤) ويبدو أن رأي العالم كنكزلي له ما يبرره، ففي بريطانيا رغب رئيس الوزراء ووزير الداخلية بكتمان أمر السحابة السوداء، فقال وزير الداخلية: ((يمكن تليفق تهمة بسهولة لرئيس المرصد الملكي ورجل كمبريدج وإيداعهما السجن. أعرف ذلك أجاب رئيس الوزراء)). ويبدو أن المؤلف أراد أن يبين حمق بعض السياسيين، وميلهم تجاه استبعاد العلماء وأصحاب العقول والمفكرين، وتجسد هذا أيضا في النقاش والجدل الذي دار حول إفشاء سر السحابة وإعلام العلماء حول العالم^(٤٥)، وقرار إنشاء مؤسسة (نورتنستو) الخاصة باستكشاف غوامض السحابة، وحقيقة هذه المؤسسة التي تظهر وكأنها منفى مقلع لكنكزلي ورهطه من الحانقين على السياسيين^(٤٦).

يمضي سياق عملية القص في بيان بعض الخطوط التي ترسم ملامح الأحداث لاحقاً ومنها بيان شخصية (جو) البستاني، أحد البسطاء في مزرعة (نورتنستو)^(٤٧)، وخطط كتركزي في إعداد المكان الجديد ليكون المهيمن العلمي على الأحداث، وفي كل هذا الحيز السردي يبدو أن المؤلف أراد أن يقول: ((أن ثمة فرقا بين العالم الذي نعيش فيه، والعالم الذي تريد أن تعيش فيه))^(٤٨) وأن هذا الفرق يعود إلى البنية المعرفية التي اعتادت الصراع مع الذين يريدون أن تكون كل الأمور رهن بأيديهم، وهذا المفهوم يقودنا إلى الاعتقاد الراسخ بأن المؤلف خلط بين الخيال والواقع والفلسفة في عملية رسم بيئة القص العامة في هذا العمل الروائي، وهذا المزج له بعده الفني الرائع الذي يتمثل بجعل العمل مجموعة من التمازجات الفكرية التي تصنع رواية الأصوات المتعددة^(٤٩).

ومن المهم الإشارة إلى إن الروائي قد اعتمد ما يطلق عليه في التنظير اللغوي الروائي: باللغة الميتافيزيقية، وهي تلك اللغة التي باستطاعتها توضيح المصطلحات العلمية والسياسية والفلسفية أو بتعبير آخر هي تلك اللغة التي تخضع للعقل وتتبع قواعده^(٥٠) ولعل هذه اللغة توفر مساحة كافية للحوار العلمي ومناقشة قواعد العمل بين مجموعات الصراع في بنية النص الروائي.

وأود في هذا المقام أن أشير إلى ملاحظة بدأت تطفئ على النظام الزمني للقص مع توافر المعلومات عن السحابة السوداء، تتمثل هذه الملاحظة بسيادة عنصر القلق من الزمن وتحوله إلى بؤرة توتر تسيطر على انفعالات وحوارات الشخصيات.

برزت السحابة السوداء للعيان لأول مرة في الصحراء العربية عندما شوهدت بالعين المجردة من قبل بعض المهندسين الذين يعملون في التنقيب عن النفط، غير أن ضعف الإمكانيات العلمية وعدم وجود ثقافة علمية شعبية حال

دون إيلاء هذا الأمر ما يستحقه من اهتمام، وبقي سياق السرد القصصي يركز على الوقفات الزمنية التي تستثمر في عرض نقاشات العلماء طويلة المضمون، والتي شاء المؤلف أن يجعلها ثرية بالمعلومات النظرية والعلمية.

بعد الخيال العلمي في الرواية:

يبدو أن المؤلف كان حذرا غاية الحذر في جعل روايته تمطي البعد الخيالي العلمي مباشرة، وكان هاجسه الأوحاد أن يحافظ على البعد الواقعي للرواية، وقد تحقق له ذلك من خلال تفننه في إدارة الحوارات وعرض الاكتشافات العلمية بتواتر بطيء، وفي هذا المحور نبين الإضاءات الآتية:

١- الإطار العلمي لنقاشات العلماء وجعل جل الافتراضات تسابير نظريات ووقائع علمية معروفة عند قراء أدب الخيال العلمي، وهؤلاء القراء من أنصاف المثقفين الذين لا ترهقهم عملية فهم الأسس العلمية المطروحة في مثل هذه الروايات.

٢- أحاط المؤلف روايته بهالة واسعة من المشاعر الإنسانية أظهرها للوجود من خلال أفعال وأفكار الشخصيات الرئيسة في هذه الرواية.

٣- عرضت الرواية جدلا واسعا بين طبقتين من أفراد المجتمع: السياسيون الذي ظهروا بمظهر البلهاء غير المبالين بوقائع العلم، وهمهم الوحيد الحصول على المعلومات بواقعها الذي يدعم الوجود السياسي لهم، وقد وظف المؤلف هذا الأمر توظيفاً موفقا لأنه تحول به من مجرد الصراع والنقاش إلى عرض أيديولوجية لها عمق تأريخي موغل بالقدم، وهذا الواقع يمثل لازمة بشرية عاجتها الأساطير منذ طفولة الحضارة البشرية^(٥١).

الآن لا بد من العودة إلى الأبعاد الموضوعية التي أطرت الرواية وسارت بها

نحو الصبغة العلمية - الخيالية، وتتحدد هذه الأبعاد بالآتي:

١- التقلبات الفيزيائية في سلوك السحابة السوداء، وهذه التقلبات ما هي إلا ومضات حاول المؤلف من خلالها تقديم البعد الحي للسحابة وأنها ليست مجرد وجود كوني جامد، فهي تقوم بتخفيف سرعتها عند اقترابها من المجموعة الشمسية على خلاف ما توقعه العلماء، وتعتمد آلية فيزيائية ذكية في ذلك^(٥٢)، وأول من تنبه إلى هذا الأمر - ولو على سبيل المزاح - الكنسدروف^(٥٣)، بقوله: ((قد يكون بداخلها وحش!))^(٥٤).

٢- إصابة السحابة للقمر بكرة غازية من الكرات التي استعملتها في تخفيف سرعتها عند دخول حدود المجموعة الشمسية^(٥٥)، والسؤال: ما سرعة هذه الكرات النارية؟!!!

٣- اختفاء الشمس خلف السحابة السوداء والمنظر الرهيب الذي وصفه المؤلف بقوله: ((...ونظر إلى السماء فهاله المنظر... سحابة سوداء كبقعة من القار، سميك لا ينفذ منها ولا شعاع ضوئي واحد.))^(٥٦).

٤- السحابة الغامضة تعيد تشكيل نفسها بقصد فتح منفذ يسمح بوصول أشعة الشمس إلى الأرض، بعد الكارثة التي لحقت بمعظم سكان الأرض^(٥٧).

٥- اتصال العلماء بالسحابة ورد السحابة على اتصالاتهم، والحوارات التي دارت بين الطرفين.

٦- طبيعة التفسير العلمي لوجود حياة وإدراك لدى هذه السحابة على الرغم من كونها جسما غازيا كثيفا، ولعل هذا الأمر أجهد المؤلف في عملية إيجاد صبغة علمية تبرر وجود هكذا نوع من الحياة، وسار هذا التبرير في مسار الفلسفة العلمية.

٧- من الأمور الخطيرة التي أثبتتها المؤلفة لشخصية (جو)^(٥٨) صفة الخلود وعدم الحاجة للتكاثر والتوالد^(٥٩)، وستبين علاقة هذه الصفة بالبعد الميثولوجي لاحقا.

٨- عمر (جو) البالغ أكثر من خمسة ملايين سنة، وهو عمر مبالغ في امتداده قياسا بالموجودات الكونية غي الحياة التي يفترض أن يكون عمرها أطول^(٦٠).

٩- السحابة تمنح الحياة !! صفة أخرى منحها المؤلف للسحابة، يقول على لسانها: ((..بترحالنا حول المجرة نثقب دائما عن تجمعات مادية ملائمة. أي سحابة لبذر الحياة فيها))^(٦١).

١٠- شخصية بطل الرواية العالم البريطاني كينكيزلي، الذي يمارس دور البطل الخارق بفكره العلمي القادر على التنبؤ بالحوادث وحساب غيباتها، وقد مارس هذا الدور على امتداد الرواية على الرغم من اتصافه في كثير من الأحيان بسلوك حاد وقسوة في الرد ومبالغة في الاعتداد بنفسه.

١١- السحابة السوداء ترد على هجوم بالصواريخ من قبل الولايات المتحدة، وروسيا، وجاء الرد بعكس اتجاه الصواريخ لتعود إلى الأماكن التي أطلقت منها وتقتل الملايين من البشر.

١٢- السحابة تقرر نقل معرفها إلى البشر قبل رحيلها عن المجموعة الشمسية إلى شخص من سكان الأرض، وتطوع كينكيزلي لهذا الغرض لكنه فقد حياته لأن دماغه لم يتحمل كمية المعارف والمعلومات التي تناقض كثيرا من معتقداته العلمية.

تقمص البعد الميثولوجي وزمنه داخل الرواية:

تنتهي أحداث الرواية بموت البطل ومغادرة السحابة السوداء، وانتهاء الأزمة التي أوشكت أن تحكم بالفناء على الحياة، ولكن بقيت كثير من أمراض البشر السلوكية على حالها، هذا ما أراد المؤلف من هذا البناء القصصي العلمي المطعم بنظرات فلسفية، نقدت كثيرا من أنماط السلوك الإنساني، نقدته استنادا إلى سلوك البشر في ظل الأزمة ومقارنة بالفكر الوافد من العوالم الأخرى. لقد أراد الكاتب أيضا أن يبين الصراع الأزلي بين أصحاب النفوذ من الحكام والسياسيين الذين نعتهم بالجهل وتغليب المصالح الشخصية على مصالح البشرية، وبين العلماء وأصحاب الرأي الحر الذين أتقنوا الأرض بحكمتهم.

إن مجرى الرواية ينبع من منابع قديمة في أصولها الفكرية، جديدة في صياغتها من حيث الجنس الأدبي وتقصد (الخيال العلمي) ومن حيث نظام القص والصياغة التي تفنن بها القاص وأحسن بناء المنظومة السردية بعناصرها الزمانية والمكانية وتصويراته للمنظور النابع عن رؤية الشخصيات، التي سارت في بنية خيالية لكنها تقمصت ظلال الحقائق العلمية.

لقد مضى الخيال في هذا العمل وكأنه ((القدرة الحية والعامل الأول للإدراك الإنساني كله، كما اعتبره تكررًا في الفكر المحدود لعملية الخلق))^(٦٢) تلك العملية التي مارست تصغيرًا وتكثيفًا لمشاكل الإنسان الفكرية، ليس في نطاق جغرافي معين وإنما في مدى العالم الإنساني بأكمله، عندما يناقش الفن الحدود العقلية الخفية وما لا تستطيع اللغة العادية مناقشته أو تجرأ على إفاضة الجدل فيه^(٦٣).

في تحليلنا هذا نقف أمام نقطة تبرق بعلامات استفهام، توحى بسؤال

خجول، يقول: هل كان الكاتب واعيا للتوازيات الدلالية بين الميثولوجيا وأدب الخيال العلمي؟ هل كان واعيا بأنه يدير دفة الزمن نحو الماضي ويختطف شكلا أسطوريا ويعيد نظمه في زمن التكنولوجيا الحديثة؟ وهل يوجد في التراث الإنساني القديم اتجاه ينبثق عن رؤى مشابهة؟ بصراحة أحب أن أبدأ من السؤال الأخير، إذ تكفينا مطالعة سريعة لبعض المصادر والمراجع التي تحدثت عن أبعاد المعرفة الميثولوجية عند العرب^(٦٤) - مثلاً - لوجدنا مادة ثرية تقبع في بطون التاريخ تنتظر من يعيد لها الروح فنيا. أما التساؤل الآخر، فنقول إن مشكلة التوظيف الواعي قد لا تنبثق من حضور الإدراك دائما، وإنما ترتسم أحيانا في اللاوعي الثقافي للمؤلف وتستبطن تلقائيا في العمل الأدبي، تحت ظلال البحث عن الابتكار^(٦٥) ومهمة الأديب تتسع إلى السفر عبر الزمان والمكان للبحث عن كل منظومة فكرية أو حضارية تصلح أن تشكل في بنية نصه وتلونه بألوان الإبداع.

حضور السحابة السوداء في النص الأدبي حضور ميثولوجي في حقيقته، فالسحابة بتكوينها الغامض، وطبيعتها الحية وقوتها الخارقة، وامتداد وجودها الزمني الذي يصل إلى ملايين السنين، وقدرتها على البقاء، ومنحها الحياة لسواها من الموجودات المادية غير الحية، كل ذلك يقود العقل إلى تداعيات معرفية توصل إلى عالم الآلهة في أساطير العالم القديم، حيث قام المؤلف باقتناص العنصر الأسطوري وعزله عن زمنه الوجودي ونقله إلى الحاضر.

إن السحابة تتكلم بكلام الفلاسفة المحيطين بعلوم الوجود، ولقد خلع المؤلف عليها صفات الإنسان، أو صفات الآلهة، وجعلها على شاكلة البشر منطقاً^(٦٦)، وتفكيراً، بينما بقي القوام والشكل خارقاً للمألوف أو المتصور. إننا نتجه مع هكذا توظيفات إلى القول بأن الأسطورة أو البعد الميثولوجي يغادر زمنه ولا يغادر صفاته، مع بقاء الزمن الداخلي على صفاته لأن غاية

التوظيف أن تحافظ على الزمن الداخلي لأنه يعكس صفات الأفعال الحارقة للعنصر الميثولوجي. هذا من جانب ومن جانب آخر يستمر الفعل الزمني للميثولوجيا ذاتيا من خلال الوجود السرمدى للعنصر، وقدرته على بقاء الخلود، والتحكم بطول الزمن النفسي وقصره، فالشعور بالزمن نفسيا له أثر في امتداده وطوله أو مروره السريع. ونجد أيضا إن الكاتب قد وفق في عملية ترميز الصراع بين الخير والشر، فالمفترض أن يتجسد عنصر الشر في الزائر الغريب القادم من مجاهل الكون، بينما لم يحصل ذلك إذ بدا الزائر مسالما وواعيا لأفعاله، وظهر الشر في البشر أنفسهم، وهذا بعد قد يخالف المعتاد في أدب الخيال العلمي. وبصراحة نقول إن التوظيف العام للميثولوجيا في أدب الخيال العلمي يتجه نحو البعد الرمزي ولا ينصب على البنية الحكائية بصورتها الكلية، وهذا الأمر ينسحب على الزمن الميثولوجي، إذ بدوره يوظف رمزيا، وأحيانا نجد الزمن يمارس تماسكا مع العنصر الميثولوجي يصل حد الجمود، فالخلود يعبر عن العنصر الذي يتصف به.

تختلف روايات أدب الخيال العلمي في آليات توظيفها للدلالات الميثولوجية وبنائها الزمنية من رواية لأخرى، وهذه صفة من صفات النص الأدبي، بوصفه قناة للإبداع، وقلما يخضع لثبات القوانين الطبيعية المتعارف عليها بيننا، إن النص الأدبي يميل نحو كسر ظاهرة التقليد والثبات، لأن الإبداع عملية معقدة، فلا ريب أن يتصف أدب الخيال العلمي بنزوع نحو التجديد وكسر المعتاد في أغلب البنى المكونة له.

في هذا السياق من نمو بحثنا نرغب في وضع خلاصة لخصائص الزمن الميثولوجي وتوظيفه في روايتنا التي تمثل نمطا من أنماط روايات أدب الخيال العلمي:

١- في حديثنا عن الزمن الميثولوجي لا نزعم أنه بعد قار بذاته يمارس تغايراً

عن باقي الخصائص الزمنية في رواية الخيال العلمي، فهناك تواز لا بد وأن يتم بين الزمن العام للنص وبين الزمن الميثولوجي، فالتوظيف هو عمل في اتجاه السياق أو النظام الموظف، ومن المضحك أن تستعين بمساعد فيعمل بالضد من عملك.

٢- إن توظيف الزمن الميثولوجي في هذه الرواية، توظيف متحفظ، لأن الكاتب جعل سياق القصة ينمو بشكل واسع في إطار واقعي واستغل لذلك مساحة واسعة من الرواية قبل أن تبدأ الأحداث الفعلية باكتشاف الزائر الغريب ومعرفة صفاته التي تؤهله ليكون عنصراً يمكن توظيفه خيالياً وغرائبياً.

٣- مارس الزمن حضوراً تناغم مع البعد المكاني وتواتر الأحداث التي قادتها الشخصيات الرئيسية في الرواية، وفاعلية الزمن ظهرت في تقديم البعد الخيالي وكأنه أقرب إلى شكل من أشكال الأحلام المنطقية، مع الشعور والقناعة بأنه حلم ليس إلا.

٤- اقتنصت شخصية السحابة السوداء جل البعد الزمني في حركتها وسفرها وتمركزها بين الأرض والشمس، وفي الحديث عن تأريخها، أي أنها مارست احتكار الزمن الميثولوجي ضمن بؤرة طاقة عملية التلقي، لا في سياق الفعل الأدبي الاعتيادي.

٥- نعود في هذا المقام لنؤكد أن المؤلف اتجه مع سبق الإصرار اتجاهها إنسانياً فلسفياً ناقداً للواقع البشري عامة، مع أنه قطع تذاكر السفر نحو جنس أدب الخيال العلمي، وتلك مفارقة قد تكون غريبة، إلا ((إن هناك رأياً مفاده أن العقل البشري مهما سما في عالم العلم، أو أوغل في عالم الآلة، تظل الأسطورة تأخذه كما تأخذه الدهشة.. يظل على

ارتباط بعالم الأسطورة أو يربح بها مهما دقت أو اتسعت عناصر هذا الارتباط.. ولهذا قيل كما أن للجهل أساطير كذلك للعلم أساطيره^(٦٧) وتوظيف الميثولوجيا في أدب الخيال العلمي أو حتى إسقاط مضامينها على دلالاته ما هو إلا تعبير عن مواجهة الإنسان لصنفيين من انفعالاته: القلق المزن، والمجهول المحب.

٦- خمسة ملايين سنة!! هو عمر السحابة السوداء، وهذا الرقم المخيف زنيا يقود إلى أعماق الوجود الكوني، هو رقم مبالغ فيه، لكن المؤلف أراد أن يؤكد البعد الأسطوري لهذا الكائن بما يحمله هذا الرقم من تأريخ ومن غموض عميق، وكأن البنية الزمنية الميثولوجية تمثل منبع غموض يرفد طاقة الخيال في النص الروائي.

ليس غريباً بعد ما تقدم أن ندعي شرعية عمل الميثولوجيا في نص رواية أدب الخيال العلمي تلك الشرعية النابعة من بلاغة الأثر في فاعلية النص الأدبي، وشأن الرواية كشأن البنية الشعرية في استيرادها لكل عنصر خلاق ومجدد في كيانها.

خلاصة البحث:

الأدب بأجناسه كافة روح الحياة الإنسانية والحضارية، والأمة التي تفتقر إلى تراث أدبي، أمة ليس لها عمق حضاري ولا جذور تضرب في عمق الوجود الإنساني، ويخطأ من يظن أن الحضارة والتكامل الإنساني رهن بالتقدم التكنولوجي والعلمي، هذا وعي وتنظير عملي اكتشفه الإنسان القديم زارع الحضارة الأولى.

اختصت هذه الدراسة ببيان جنس أدبي حديث له حضوره المتميز، حضوره الفعلي الذي لم يحتج إلى جوازات سفر مقدمة من قبل المؤسسات

النقدية أو من قبل أعلامها، فأدب الخيال العلمي شق الطريق بصمت وثقة ليبرز على الساحة الذوقية بكل ملامحه كأدب قصصي حديث في مظهره وسماته، مرتبط بتيار القصة والرواية بكل ملامحها وسماتها. ومع هذا التكوين فإن هذا الأدب ارتبط بعالم الميثولوجيا والأساطير بشكل خفي، لا بل يشكل أدب الخيال العلمي إعادة نسج لعناصر الميثولوجيا ويطار جديد. البحث يتناول علاقة الخيال العلمي بالميثولوجيا، وبخاصة العنصر الزمني من هذا البعد المهم الذي رأينا مظاهر توظيفه في البنية الشعرية، وكيف حقق دفقا شعريا في النص، ويحاول هذا البحث أن ينظر إلى الجانب الآخر من هذا الأثر الفني.

ومن أجل تحديد البحث بعينة أدبية تكون مادة للبحث والتنظير اختار الباحث، رواية (السحابة السوداء)، وهي من روايات أدب الخيال العلمي، لتكون أنموذجا يخضع للتحليل وبيان آثار التفاعل بين الميثولوجيا وأدب الخيال العلمي، ودور البعد الزمني في كل ذلك.

Abstract

Literary types all the spirit of human life and civilization, and a nation that lacks the literary tradition, a nation does not have the depth of a civilized and roots hit in the depth of human existence, and faulting who thinks that civilization and integration humanitarian subject to technological progress and scientific, this awareness of my work was discovered by ancient man planter civilization first.

Specialized study made sex literary talk to him attending outstanding, attending the actual did not need passports provided by monetary institutions or by its leaders, science fiction incision way silently and confident to highlights on the scene gustatory all features Fiction modern in appearance and characteristics,

linked Carrying the story and the novel all the features and characteristics. With this configuration, this literature associated with the world of mythology and legends are cryptic, not even a science fiction re-weave the elements of mythology and a new frame. Find addresses the relationship with science fiction mythology, particularly the time element of this important dimension, which seen manifestations employed in the capillary structure, and how achieved poetic gushing in the text, this research tries to look at the other side of this artistic impact.

In order to determine research sample literary be material for research and theorizing chose researcher, a novel (black cloud), one of the novels science fiction, to be a model subject to analysis and the effects of the interaction between mythology and science fiction, and the role of the time dimension in all of this.

هوامش البحث

- (١) ينظر: من الأسطورة إلى الفلسفة والعلم، ثامر مهدي، ص ١١ وما بعدها.
- (٢) ينظر: مفهوم الزمن في الفكر والأدب، رابح الأطرش، مقالة نشرت في مجلة العلوم الإنسانية، جامعة فرحات عباس، سطيف، مارس ٢٠٠٦.
- (٣) أبو العلاء المعري: من أبرز شعراء وأدباء العرب في العصر العباسي، ولد في بلاد الشام سنة ٣٦٣ هـ وتوفي سنة ٤٤٩ هـ، وله آثار شعرية ونثرية كثيرة. ينظر: تعريف القدماء بأبي العلاء المعري، تح: مصطفى السقا، وآخرون، وإشراف د. طه الحسين، ص ٣ وما بعدها.
- (٤) رسالة الغفران، لأبي العلاء المعري، تح: د. عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ)، ص ٤٢٦.
- (٥) الزمن عند الشعراء العرب قبل الإسلام، عبد الإله الصائغ، ص ٧.
- (٦) ينظر: الأنواء في مواسم العرب، لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، ت ٢٧٦ هـ، د. ط، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٨٨.
- (٧) ينظر: رسالة الملائكة، إملاء الشيخ الإمام أبي العلاء المعري، تح: محمد سليم الجندي، دار صادر، بيروت، ١٩٩٢.
- (٨) ينظر: رسالة التوابع والزوابع، لابن شهيد الأندلسي، تح: بطرس البستاني، دار صادر، بيروت، ١٩٩٦.

- (٩) ينظر: الفردوس المفقود، ملحمة الشاعر الانكليزي جون ملتون، ت: د. محمد عناني، بغداد، دار الشؤون الثقافية للطباعة والنشر، ١٩٨٢. ٢-ج.
- (١٠) ينظر: الأسطورة، د. نبيلة إبراهيم، بغداد، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، سلسلة الموسوعة الصغيرة (٥٤)، ١٩٧٩.
- (١١) ينظر: الحكاية الشعبية، د. عبد الحميد يونس، بغداد، مشروع النشر المشترك، دار الشؤون الثقافية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، سلسلة كتاب الجيب. د.ت.
- (١٢) ينظر: الدولة والأسطورة، أرنست كاسيرر، ت: د. أحمد حمدي محمود، ص ١٩ وما بعدها.
- (١٣) ينظر: م.ن، ص ٢٠-٢٢.
- (١٤) ينظر: الفصن الذهبي، السير جيمس فريزر، ت: د. أحمد أبو زيد، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، ١٩٧١.
- (١٥) ينظر: الأسطورة في شعر السياب، عبد الرضا علي، ص ١٦ وما بعدها. وينظر: الأسطورة في الشعر العربي قبل الإسلام، أحمد إسماعيل محمد النعيمي، رسالة دكتوراه، وينظر: الأسطورة، د. نبيلة إبراهيم، ص ٢٧ وما بعدها. وغير ذلك كثير.
- (١٦) سورة: الأنعام، ٢٥.
- (١٧) سورة الأنفال، ٣١.
- (١٨) سورة النحل، ٢٤.
- (١٩) سورة الفرقان، ٥.
- (٢٠) سورة الأحقاف، ١٧.
- (٢١) ينظر: الأسطورة والتأريخ في التراث الشرقي القديم، دراسة في ملحمة جلجامش، د. محمد خليفة حسن، ص ٢٢.
- (٢٢) ينظر: أدب الخيال العلمي، جان غاتنيو، ت: ميشيل خوري، ص ٢٥.
- (٢٣) ينظر: م.ن. ص ٢٧.
- (٢٤) في تفصيل أهم الأعمال التي عالجت كثيرا من هذه الموضوعات، ينظر: أدب الخيال العلمي، مجموعة من المقالات لكتاب عالمين، ت: ياسين طه حافظ، ط١، بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة، ١٩٨٦.
- (٢٥) من أمثلة هذه الأعمال السينمائية: The matrix, The terminator وغيرها من الأعمال التي ما تزال تتزايد مساحات الاهتمام بها علميا.
- (٢٦) ينظر: أدب الخيال العلمي، مجموعة من المقالات لكتاب عالمين، ت: ياسين طه حافظ، ص ١١ وما بعدها.
- (٢٧) ينظر: مدخل إلى نظرية القصة، سمير المرزوقي، وجميل شاكر، ص ١٩ وما بعدها.

- (٢٨) ينظر: بناء الرواية، د. سيزا أحمد قاسم، ص ١٣٠ وما بعدها.
- (٢٩) ينظر: م.ن، ص ٢٦ وما بعدها.
- (٣٠) ذكرت قصة قوم عائد وثمود في القرآن الكريم في مواضع كثيرة، بلغت خمسا وعشرين موضعا.
- (٣١) سورة النجم، ٥٠ - ٥١.
- (٣٢) سورة مريم، ٩٨.
- (٣٣) لمزيد من التفاصيل في فاعلية العلم الحديث في خلق الأدب، ينظر: الأسئلة الخالدة، سامي أحمد الموصلي، ص ١٥.
- (٣٤) ينظر: الأسطورة والتأريخ في التراث الشرقي القديم، ص ١٠ وما بعدها. وينظر: الرحلة إلى الفردوس والجحيم في أساطير العراق القديم، وداد الجوراني، ٦٩ وما بعدها. وينظر: الحكاية الخرافية، فرديش فون ديرلاين، ت: د. نبيلة إبراهيم، ص ١٦١-١٦٧.
- (٣٥) ينظر: الواقع والأسطورة في شعر أبي ذؤيب الهذلي، د. نصرت عبد الرحمن، ١٧٩ وما بعدها.
- (٣٦) ينظر: إنسان المستقبل، نقلت بتصريف عن (Brave new world, Aldous Huxley)، ت: د. طالب ناهي الخفاجي.
- (٣٧) ينظر: الإثنولوجيا والفلكلور، د. مجيد حميد عارف، ص ٨٦ - ٩١.
- (٣٨) السحابة السوداء، رواية من الخيال العلمي، نقلت إلى العربية بتصريف عن (The black cloud) للكاتب (Fred Hoyle)، ت: د. طالب ناهي الخفاجي، سلسلة الكتب المترجمة (١٢٤)، دائرة الشؤون الثقافية والنشر، بغداد، ١٩٨٣.
- (٣٩) الراوي داخل القصة: نظام يقدم الرد القصصي من منظور قريب جدا من الشخصيات وكأن الراوي، يبصر توجهات ومشاعر كل شخصية. ينظر: عالم الرواية، رولان بورنوف، ريال اوثيليه، ت: نهاد التكرلي، ص ٧٩.
- (٤٠) ينظر: مدخل إلى نظرية القصة، ص ٥١ وما بعدها.
- (٤١) ينظر: السحابة السوداء، ص ١٤.
- (٤٢) ينظر: م.ن، ص ٢٦-٢٩.
- (٤٣) ينظر: م.ن، ص ٧٨.
- (٤٤) م.ن، ص ٧٤.
- (٤٥) ينظر: م.ن، ص ١١٠-١١٢.
- (٤٦) ينظر: م.ن، ص ١٢٥ وما بعدها.
- (٤٧) ينظر: م.ن، ص ١٣٢ - ١٣٣.
- (٤٨) الخيال الأدبي، نور ثروب فراي، ت: حنا عبود، ص ١٢.
- (٤٩) ينظر: الصوت الآخر، الجوهر الحوارية للخطاب الأدبي، فاضل ثامر، ص ٣٨ وما بعدها.

- (٥٠) ينظر: الأفكار والأسلوب، أ.ف. تشيتشرين، ت: د. حياة شرارة، ص ١٠٥.
- (٥١) ينظر: الدولة والأسطورة، أرنست كاسيرر، ص ٧٧ وما بعدها.
- (٥٢) ينظر: السحابة السوداء، ص ١٧٨.
- (٥٣) أحد العلماء الروس المشاركين في الأبحاث في مركز نورتستو الذي مر الحديث عنه.
- (٥٤) ينظر: السحابة السوداء، ١٧٩.
- (٥٥) ينظر: م.ن.، ص ١٨٣-١٨٥.
- (٥٦) م.ن.، ص ١٩٠.
- (٥٧) ينظر: م.ن.، ص ٢٠٤.
- (٥٨) اتفق العلماء على ان يطلقوا تسمية (الشيخ جو) على السحابة السوداء.
- (٥٩) ينظر: السحابة السوداء، ص ٢٨١.
- (٦٠) ينظر: م.ن.، ص ٢٨١.
- (٦١) م.ن.، ص ٢٨٢.
- (٦٢) صناعة الأدب، ر.أ. سكوت جيمس، ت: هاشم الهنداوي، ص ١٩٠.
- (٦٣) ينظر: م.ن. ص ١٩٥.
- (٦٤) ينظر: في طريق الميثولوجيا عند العرب، محمود سليم الحوت. وينظر: مغامرة العقل الأولى، فراس السواح. وينظر: الأساطير العربية قبل الإسلام، د. محمد عبد المعيد خان. وغير ذلك مما أوردنا في صفحات سبقت.
- (٦٥) ينظر: خطاب الإبداع، محمد الجزائري، ص ١٣ وما بعدها.
- (٦٦) ينظر: في الميزان الجديد، د. محمد مندور، ص ١٤.
- (٦٧) الغابة والفصول، طراد الكبيسي، ص ٦٦.

قائمة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم

- ١- الإثنولوجيا والفلكلور، د. مجيد حميد عارف، بغداد، مطابع وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، جامعة بغداد، كلية الآداب، د.ط، ١٩٩٠.
- ٢- الأسطورة والتأريخ في التراث الشرقي القديم، دراسة في ملحمة جلجامش، د. محمد خليفة حسن، بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة، ط ١، ١٩٨٨.

- ٣- أدب الخيال العلمي، جان غاتنيو، ت: ميشيل خوري، دمشق، دار طلاس للترجمة والنشر، ط ١، ١٩٩٠.
- ٤- أدب الخيال العلمي، مجموعة من المقالات لكتاب عالمين، ت: ياسين طه حافظ، بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة، ط ١، ١٩٨٦.
- ٥- الأساطير العربية قبل الإسلام، د. محمد عبد المعيد خان، القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، د. ط، ١٩٣٧.
- ٦- الأسطورة في شعر السياب، عبد الرضا علي، بغداد، منشورات وزارة الثقافة والفنون، سلسلة دراسات (١٤٧)، د. ط، ١٩٧٨.
- ٧- الأسطورة في الشعر العربي قبل الإسلام، أحمد إسماعيل محمد النعيمي، رسالة دكتوراه، جامعة بغداد، كلية التربية (ابن رشد)، ١٩٩١.
- ٨- الأسطورة، د. نبيلة إبراهيم، بغداد، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، سلسلة الموسوعة الصغيرة (٥٤)، ١٩٧٩.
- ٩- الأسئلة الخالدة، سامي أحمد الموصللي، بغداد، مطابع التعليم العالي، د. ط، ١٩٨٩.
- ١٠- إنسان المستقبل، نقلت بتصرف عن (Brave new world, Aldous Huxley)، ت: د. طالب ناهي الخفاجي، بغداد، المكتبة العالمية، ط ١، ١٩٨٥.
- ١١- الأفكار والأسلوب، أ.ف. تشيتشرين، ت: د. حياة شرارة، بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة، د. ط، د. ب.
- ١٢- الأنواء في مواسم العرب، لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة، سلسلة خزنة الأدب، د. ط، ١٩٨٨.
- ١٣- بناء الرواية، د. سيزا أحمد قاسم، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د. ط، ١٩٨٨.
- ١٤- تعريف القدماء بأبي العلاء المعري، تح: مصطفى السقا وآخرون بإشراف د. طه حسين، القاهرة، الدار القومية للطباعة والنشر، ط ١، ١٩٦٥.
- ١٥- الحكاية الخرافية، فردريش فون ديرلاين، ت: د. نبيلة إبراهيم، بغداد، مكتبة النهضة، د. ط، د. ت.

- ١٦- الحكاية الشعبية، د. عبد الحميد يونس، بغداد، مشروع النشر المشترك: دار الشؤون الثقافية العامة، والهيئة المصرية العامة للكتاب، د.ط.، د.ت.
- ١٧- خطاب الإبداع، محمد الجزائري، بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة، ط١، ١٩٩٣.
- ١٨- الخيال الأدبي، نور ثروب فراي، ت: حنا عبود، دمشق، منشورات وزارة الثقافة، الجمهورية العربية السورية، سلسلة دراسات نقدية عالمية (٢٧)، د.ط.، ١٩٩٥.
- ١٩- الدولة والأسطورة، أرنست كاسيرر، ت: د. أحمد حمدي محمود، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د.ط.، ١٩٧٥.
- ٢٠- الرحلة إلى الفردوس والجحيم في أساطير العراق القديم، وداد الجوراني، بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة، ط١، ١٩٩٨.
- ٢١- رسالة التوابع والزوابع، لابن شهيد الأندلسي، تح: بطرس البستاني، بيروت، دار صادر، ط١، ١٩٩٦.
- ٢٢- رسالة الملائكة، إملاء الشيخ الإمام أبي العلاء المعري، تح: محمد سليم الجندي، بيروت، دار صادر، د.ط.، ١٩٩١.
- ٢٣- رسالة الغفران، لأبي العلاء المعري، تح: د. عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ)، القاهرة، دار المعارف للطباعة والنشر، ط٩، ١٩٧٧.
- ٢٤- الزمن عند الشعراء العرب قبل الإسلام، عبد الإله الصائغ، بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة، د.ط.، ١٩٨٦.
- ٢٥- السحابة السوداء، رواية من الخيال العلمي، نقلت إلى العربية بتصريف عن (The black cloud) للكاتب (Fred Hoyle)، ت: د. طالب ناهي الخفاجي، سلسلة الكتب المترجمة (١٢٤)، دائرة الشؤون الثقافية والنشر، بغداد، ١٩٨٣.
- ٢٦- صناعة الأدب، ر.أ. سكوت جيمس، ت: هاشم الهنداوي، بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة، سلسلة المائة كتاب، د.ط. ١٩٨٦.
- ٢٧- الصوت الآخر، الجوهر الحواري للخطاب الأدبي، فاضل ثامر، بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة، ط١، ١٩٩٢.
- ٢٨- عالم الرواية، رولان بورنوف، ريال اوئيليه، ت: نهاد التكرلي، بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة، ط١، ١٩٩١.

- ٢٩- الغابة والفصول، طراد الكبيسي، بغداد، منشورات دار الرشيد للنشر، سلسلة دراسات (١٦٥)، د.ط.، ١٩٧٩.
- ٣٠- الغصن الذهبي، السير جيمس فريزر، ت: د. أحمد أبو زيد، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، د. ط.، ١٩٧١.
- ٣١- الفردوس المفقود، ملحمة الشاعر الانكليزي جون ملتون، ت: د. محمد عناني، بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة، مشروع النشر المشترك، د.ط.، ١٩٨٢، ٢ج.
- ٣٢- في طريق الميثولوجيا عند العرب، محمود سليم الحوت، بيروت، دار النهار للنشر، ط١، ١٩٧٩.
- ٣٣- في الميزان الجديد، د. محمد مندور، القاهرة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، د.ط.، ١٩٧٣.
- ٣٤- مدخل إلى نظرية القصة، سمير المرزوقي، وجميل شاكر، بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة، مشروع النشر المشترك، د.ط.، ١٩٨٦.
- ٣٥- مغامرة العقل الأولى، فراس السواح، بيروت، دار الكلمة للنشر، ط١، ١٩٨٠.
- ٣٦- مفهوم الزمن في الفكر والأدب، رابح الأطرش، مقالة نشرت في مجلة العلوم الإنسانية، جامعة فرحات عباس، سطيف، مارس ٢٠٠٦.
- ٣٧- من الأسطورة إلى الفلسفة والعلم، ثامر مهدي، بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة، ط١، ١٩٩٠.
- ٣٨- الواقع والأسطورة في شعر أبي ذؤيب الهذلي، د. نصرت عبد الرحمن، عمان - الأردن، دار الفكر للنشر والتوزيع، د.ط.، ١٩٨٥.